

تقسيمات السلوك الأخلاقي ومراتبه

السلوك: لغة: (سلك الطريق: إذا ذهب فيه) ^(١)

واصطلاحاً:

هو أعمال الإنسان الإرادية المتجهة نحو غاية معينة مقصودة تهدف إلى تحقيق مطالب جسدية أو نفسية أو روحية أو فكرية.

والسلوك: سيرة الإنسان واتجاهه، يقال: حسن السلوك أو سيء السلوك.

أما الخلق:

فهو حالة في النفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجة إلى فكر وروية.

فالعلاقة بين السلوك والخلق هي علاقة الدال بالمدلول أو الأثر بالمؤثر.

(١) مختار الصحاح للرازي مادة سلك ط دار الإيمان

والسلوك عمل إرادي كقول الصدق والكذب، والكرم والبخل ونحو ذلك.

والسلوك نوعان:

الأول خلقي، والثاني إرادي.

السلوك الخلقي:

وهو ما كان نابعاً عن صفة نفسية، قابلاً للمدح أو الذم كإعطاء الفقير، والإنفاق في وجوه الخير، حال كونه نابعاً عن جود وكرم، وكذلك الإقدام دفاعاً عن الحق وإزهاقاً للباطل حال لكونه نابعاً عن شجاعة، فهذه صفات حميدة لأنها من فضائل الأخلاق، فآثارها تابعة لها في الحكم عليها بأنها حميدة، وكالإمساك والتقتير والبخل والشح، والفرار من ساحة الجهاد، فهذه صفات ذميمة.

روى ابن ماجة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(لا يحقرن أحدكم نفسه) قالوا: يا رسول الله، وكيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: يرى أن عليه مقالاً ثم لا يقول فيه،

فيقول: خشيت الناس. فيقول الله فيأي كنت أحق أن تخشى^(١).

(ونستطيع أن نقيس مستوى الخلق النفسي، عن طريق قياس آثاره في السلوك، فالصفة الخلقية المستقرة في النفس إذا كانت حميدة كانت آثارها حميدة، وإذا كانت ذميمة كانت آثارها ذميمة، وعلى مقدار الخلق في النفس تكون في العادة آثاره في السلوك.

وليست كل الصفات المستقرة في النفس من قبيل الأخلاق بل منها غرائز ودوافع لا صلة لها بالخلق، فالذي يفصل الأخلاق ويميزها عن جنس هذه الصفات بكون آثارها في السلوك قابلة للحمد أو للذم، وبذلك يتميز الخلق عن الغريزة ذات المطالب المكافئة لحاجات الإنسان الفطرية.

وهذه الغريزة ليست مما يحمد الإنسان أو يذم عليه.

فالأكل عند الجوع بدافع الغريزة ليس مما يحمد أو يذم في باب السلوك الخلق، ولكن قد تتحول الغريزة إلى سلوك خلقي يحمد أو يذم، كالشره الزائد عن حاجات الغريزة العضوية أمر مذموم، لأنه أثر لخلق في النفس مذموم وهو

(١) الأخلاق في الإسلام د. إيمان ص ٤١.

الطمع المفرط، وعكس ذلك القناعة فهي أثر لخلق في النفس محمود.

وهكذا سائر الغرائز والدوافع النفسية التي لا تدخل في باب الأخلاق، إنما يميزها عن الأخلاق كون آثارها في السلوك أموراً طبيعية ليست مما تحمد إرادة الإنسان عليه أو تذم^(١).

اتجاهات السلوك الأخلاقي:

إن الإسلام قد عني بالإنسان جسماً وروحاً ظاهراً وباطناً، وفي دراساتها عن الأخلاق في كل اتجاهاته.

فالإتجاه المادي في الأخلاق، يهتم بالسلوك الذي يحقق منافع مادية، ينبغي استخدامها بالطريقة التي تحقق اللذة أو السعادة حسب وجهة نظر الفرد في فهمها.

ومجاله: الطبيعة المادية.

والإتجاه الروحي يهتم بالسلوك الذي يحقق مكاسب معنوية، ويظهر النفس من النوازع الشريرة.

ومجاله: الجانب النفسي والروحي في الطبيعة الإنسانية.

(١) الثقافة الإسلامية للحنكة والغزالي ص ١٨١.

والاتجاه العقلي يهتم بالسلوك الذي يحقق مكاسب عقلية من كشف الحقائق وتنظيم السلوك والحياة وفقاً لهذه الحقائق.

ومجاله الحقائق كما تتراءى للعقل.

النوع الثاني من أنواع السلوك.

السلوك الإرادي:

السلوك الإرادي السوي، هو فعل المباح أو تركه.

وله صور عديدة منها:

١. مادي: كالأكل والشرب والزواج والنوم وجميع متطلبات الجسد العضوية.

٢. عقلي: كالدراسة والأنشطة العقلية، العلمية والأدبية، والمشاركات في الحوار والنقاش، والإبداع في الفنون والآداب..

٣. ومنها ما هو اجتماعي: وهذا يقتضي مراعاة الأعراف والتقاليد السائدة في المجتمع، والالتزام بها وعدم الخروج عليها، وكل مجتمع له أعرافه وتقاليد، فبعض المجتمعات يلبس فيها الرجل

التنورة، وهي من ملابس النساء، وليست من ملابس الرجال، فإذا خرج إنسان عن العرف عد شاذاً في هذا السلوك، ومن العرف الاجتماعي أن يأخذ الرجل في زينته عند لقاء الناس، فمن لقي ضيوفه وهو ثائر الشعر مثلاً غير مرجل أو مسرّح فهذا خروج عن السلوك السوي.

٤. ومنها طاعة أولي الأمر في غير معصية، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

٥. ومنها طلاقة الوجه والبشاشة، مما يضيء جو المحبة والوثام بين الناس.

٦. ومنها عدم اللجاجة في الحوار حتى يخرج إلى الجدل، فرجل يقدم محاضرة عن أدب الجدل، ثم يرمي محاوره بألفاظ بذيئة.

وهذا الموضوع متشعب، جداً قد لا يحصيه حصر.

ومنهم من قسم السلوك الإرادي للإنسان إلى أقسام^(١)

(١) الثقافة الإسلامية للشيخ عبد الرحمن حبنكة ومحمد الغزالي ص ١٨٢. ط ١١٤٣ هـ

١. منه ما هو أثر من آثار خلق في النفس محمودة أو مذمومة، كالعطاء عن جود أو إمساك عن شح...
٢. ومنه ما هو استجابة لغريزة من غرائز الجسد الفطرية كالأكل والشرب..
٣. ومنه ما هو من قبيل الآداب الشخصية أو الاجتماعية، كآداب الطعام والشراب واللباس..
٤. ومنه ما هو طاعة للأوامر والنواهي..
٥. ومنه ما هو من قبيل التقاليد الاجتماعية كهيئة اللباس وترجيل الشعر والسلام بطريقة مخصوصة..
٦. **أقسام الأخلاق باعتبار علاقاتها:**

تقسم إلى أربعة أقسام^(١):

- ١- ما يتعلق بوجوه الصلة القائمة بين الإنسان وخالقه. والفضيلة الخلقية في حدود هذا القسم تفرض على الإنسان أنواعاً كثيرة من السلوك الأخلاقي، منها الإيمان بالله لأنه حق، والاعتراف بكمال الصفات والأفعال، وشكره على نعمه التي لا تحصى، وطاعته في أوامره

(١) المصدر السابق ص ٢٠١

ونواهيته، فطل هذه الأنواع من السلوك تدعو إلى الفضيلة الخلقية.

أما دواعي الكفر بالخالق بعد وضوح الأدلة على وجوده فهي حتماً دواع تستند إلى مجموعة من رذائل الأخلاق منها الكبر، وجحود الحق، وقد نبه القرآن على رذيلة خلق الكبر الدافعة إلى إنكار الآخرة وعدم الإيمان بها.

٢- ما يتعلق بوجوه الصلة بين الإنسان والآخرين .

وصور السلوك الأخلاقي الحميد في حدود هذا القسم معروفة وظاهرة منها الصدق والأمانة والعفة والعدل، وهكذا إلى آخر جدول فضائل الأخلاق التي يتعدى نفعها إلى الآخرين من الناس.

٣- ما يتعلق بوجوه الصلة بين الإنسان ونفسه.

وصور السلوك الأخلاقي الحميد في حدود هذا القسم كثيرة منها ؛ الصبر على المصائب، ومنها الأناة في الأمور والإتقان في العمل، وكل ذلك يدخل في حين إدارة الإنسان لنفسه.

٤- ما يتعلق بوجوه الصلة بين الإنسان والبيئة غير العاقلة. كالرحمة بالحيوان، والرفق في معاملتها وتأدية حقوقها الواجبة.

أما ظلمها والقسوة عليها وحرمانها من حقوقها فهي من قبائح الأخلاق وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر: ((عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعاً فدخلت النار، لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض)).

ولا بد من ملاحظة أن كثيراً من الأخلاق لها عدد من الارتباطات والتعلقات، ولذلك فهي تدخل في عدد من هذه الأقسام في وقت واحد، إذ قد تكون لفائدة الإنسان نفسه، وتكون مع ذلك لفائدة الآخرين وهي أيضاً محققة لمرضاة الله تعالى).

مراتب السلوك الأخلاقي:

تتفاوت مراتب السلوك الأخلاقي بحسب متعلقاته

الأول:

من كان سلوكه عند أمر الله ونهيه:

فإن هذا السلوك ينبع من أخلاقيات عليا، لأنها تتصل بالملأ الأعلى، وهذا أعلى المقامات وأشرف المراتب.

والثاني: ومن السلوك الأخلاقي ما ينبع من الفلسفة العقلية:

وهذه مرتبة دون المرتبة الأولى، لأنها لا تستند إلى وحي الله وإرادته والنظر إلى الآجلة من النواب أو العقاب.

والثالث: السلوك المادي:

وهذا السلوك لا يرجو الخير إلا لنفس صاحبه، فهو أناني يستفيد ولا يفيد وهذا أحط مراتب السلوك الأخلاقي في النفس البشرية.

أجناس الفضائل وأنواعها.

أجناسها الرذائل وأنواعها.

أجناس الفضائل:

١- الفضائل متعددة وأعلاها ما يتعلق بالله سبحانه وتعالى كتوحيده ذاتاً وصفاتٍ وأفعالاً، وتزويجه تعالى؛ أنه واجب الوجود، واجب له كل كما في ومنتزه عن كل نقصان.

٢- فضيلة الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله تعالى، والإيمان بالرسول السابقة،

وأنهم جاؤوا لهداية البشرية، ودينهم جميعاً الإسلام
كما قال الله تعالى:

(إن الدين عند الله الإسلام) آل عمران: ١٩ وقوله تعالى
(ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً
مسليماً). آل عمران: ٦٧

- ٣- فضيلة حب الخير والدلالة عليه والدعوة إليه.
- ٤- فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذه
الفضيلة هي التي جعلت أمتنا الإسلامية أمة خيرية قال
الله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون
بالله). البقرة: ١١٠

أنواعها:

أما أنواعها فمتعددة أيضاً ومنها:

- ١- فنوع متعلق بالعتيدة الصحيحة الخالية من الشركيات
والبدع والشوائب.

٢- ومنها ما يتعلق بالسلوك الإسلامي المنطلق من مكارم الأخلاق والتحلي بها وترجمتها إلى واقع عملي في الحياة في التفاعل مع المجتمع الإنساني.

٣- ومنها ما يتعلق بالرحمة الشاملة للنوع الإنساني وغيره، كالرأفة بالحيوان وتنمية النبات كزراعة الشجر المثمر لينتفع منه البشر والطير.

قال صلى الله عليه وسلم : ((في كل كبد رطبة أجر)).

٤- ومنها فعل الخير للآخرين، كالصدقة الجارية والوقف، وحفر الآبار وبناء المستشفيات الوقفية والمدارس لتحفيظ القرآن الكريم وكفالة اليتيم ودفع الفاقة عن الفقراء بإنشاء مصنع يتطلب اليد العاملة عن العمل.

أجناس الرذائل وأنواعها

أجناس الرذائل:

وفي المقابل ؛ فإن كل إيجاب يقابله سلب ؛ فالكرم: يقابله البخل. والإيثار: يقابله الشح والشجاعة: يقابلها الجبن. ومن ثم فإن لكل مآثرة نقيضاً. ومن هذه الرذائل:

- ١- رذيلة التمرد على الله بعباده غيره أو الإلحاد في وجوده، كالعقيدة الشيوعية الإلحادية.
- ٢- والرذيلة الثانية هي الفسق، وذلك بالخروج عن تعليمات الله تعالى وعدم الالتزام بأوامره ونواهيه.
- ٣- ومن الرذائل، الولاء للكفار في أي شكل من أشكال الولاء، ولو بالإعجاب بهم وبزيهم وبأخلاقهم ووسائل ترفيههم كالرقص والغناء والفجور، وتحبيذ طريقة حياتهم ومعيشتهم، كالاختلاط والتحرر من الحشمة بالنسبة للنساء، والموضات الفاضحة في الملابس والخلاعة في التصرفات.
- ٤- ومن الرذائل عدم احترام العلماء وأهل الفضل

أنواعها:

ومن أنواع الرذائل:

- ١- نوع نفسي روحاني، كأن يحتقر الإنسان كل ما هو دين، أو ينفر منه، فهذا دليل على ضعف العقيدة في نفس صاحبها، وضعف الوازع والضمير الأخلاقي، فهو يرتاح للبشر وينزعج من الخير.
 - ٢- نوع خارجي سلوكي: إذ إن صاحبه يكسل ويصيبه الفتور والملل إذا دعي إلى الصلاة أو إلى فعل الخير، فيميل إلى تحبيذ المنكر والنفور من المعروف وهو الأمر الفاضل.
 - ٣- ومن أنواع الرذائل حب الشر للآخرين، فإذا نال بعضهم الخير، حسده على هذا الخير، وإذا نالته نائلة أو نزلت به نازلة فإنه يسر بذلك.
 - ٤- ومن أنواع الرذائل أن بعض الناس يحسنون معاملة أهليهم، يقدمون بر الصديق على بر الوالدين، أو يقدمون الزوجة على بر الأم...
- وخلاصة الموضوع أن الإسلام يرشد الإنسان إلى الخير ويهدي إليه، ويمنعه عن الشر، والإنسان يحاسب على فعله.

تدريبات

- ١- ما تعريف السلوك لغة واصطلاحاً؟
- ٢- ما الفرق بين السلوك الخلقي والسلوك الإرادي؟
- ٣- ما تعريف السلوك الخلقي، والسلوك الإرادي؟
- ٤- عدد أربعة من أقسام السلوك الإرادي الأخلاقي.
- ٥- عدد ثلاثة من أقسام الأخلاق باعتبار علاقاتها ؟
- ٦- عدد مراتب السلوك الأخلاقي.
- ٧- بين، كيف يتميز الخلق عن الغريزة؟
- ٨- كيف تتحول الغريزة إلى خلق؟
- ٩- عدد ثلاثة من أجناس الفضائل، وثلاثة من أجناس الرذائل
- ١٠- عدد ثلاثة من أنواع الفضائل، ثلاثة من أنواع الرذائل
- ١١- اكتب قصة تحبب فيها بالفضائل وتنفر من الرذائل.